بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة - 13 -

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على حبيبنا وقرّة أعيننا محمّد المصطفى الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنّك أنت العليم الحكيم.

اللهمّ إنّي أتبرّأ من حولي وقوّتي إلى حولك وقوّتك فإنّه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أرحّب بالسادة المشايخ والحضور الكرام، وأرحب بالمستمعين أجمعين، أحيّيكم جميعا بتحيّة الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

تشرّفنا في اللقاء الماضي بسورة المزمّل ووصلنا إلى قول الله سبحانه:-

{إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} [سورة المزمل: 19]

وأؤكّد لكم سادتي بأنّي لا أفسّر هذه السورة، فالتفسير له قواعده، وإنّما أستلهم من هذه السورة معالم طريق الدعوة إلى الله جلّ في علاه، والداعي إلى الله عزّ وجلّ لا يكون مقبولا عند الله جلّ وعلا إلّا بعد أنْ يعلم ما يريد الله سبحانه منه، وما يريده منه داخل بشكل دقيق في النقطة الأولى، وهي مواصفات الداعي، فمَنْ يريد أنْ يصبح طبيبًا مثلًا فإنْ لم يعرف ما هو الطب، ومن هو الطبيب فلن يستطيع أنْ يكون طبيبًا، وكذلك الداعي، ولله المثل الأعلى، وهم إنْ شاء الله تعالى، أطباء الأرواح والأجساد والأزمان.

فيما سبق رأينا أنَّ بعض المعاني المستلهمة من الآيات الكريمة الماضية بيّنتْ لنا بعض هذه الكليات الخمس، فمن الآيات ما دخل تحت النقطة الأولى، ومنها ما اشتركت في نقطتين أو ثلاثة، ومجمل ما أستفهم من الآية الكريمة المباركة:-

{إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} [سورة المزمل: 19]

أنَّ الله تبارك اسمه أكّد حقيقة بتأكيدات كبيرة، وهي (إنّ) للتأكيد، والجملة الإسمية، لأنَّ الجملة الإسمية تدلّ على الثبات والاستقرار، على عكس الجملة الفعلية فإنّها تدلّ على الحدث والتجدّد، فالثابت المستقر هو المعنى المفهوم من الجملة الإسمية، فهذه تذكرة مبتدأ وخبر، إذنْ هي جملة إسمية؛ لأنّ المبتدأ يكون اسمًا ولا يكون فعلًا، ودخول إنّ للتأكيد على الجملة الإسمية، تأكيد لمعناها، تأكيد لما أُسند إلى الخبر، تأكيد للمبتدأ نفسه، بمعنى تأكيد للجملة روحًا ومعنى، فالله تبارك في علاه، باسم الإشارة (هذه) أي: هذه تشير إلى المعاني التي تفهمونها من هذه السورة من بدايتها إلى قوله عزَّ شأنَه:-

{السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا} [سورة المزمل: 18]

هذه تذكرة، تذكرة مأخوذة من التذكّر، مأخوذة من الذكرى، التي تُغيّر نفسية الإنسان حسب وصفها، فإنْ كانت ذكرى إيجابية فآثارها سوف تكون على النفس شيء، وإذا كانت -لا قدّر الله تعالى- ذكرى سلبية أيضًا آثارها تكون مثلها.

و (تذكرة) فيها معنى الوسيلة التي تعينك على أنْ تتذكر شيئًا يستحق التذكّر، ربّما أنت نسيته (تذكرة) ومن هنا- والله جلّ وعلا أعلم- الله تعالى هدى الناس إلى أنْ يسمّوا بطاقة الصعود إلى الطائرة بالتذكرة، فقطعتَ التذاكر، صار

عندك تذاكر ســـفر، أي الورقة التي تذكرك بما مِنْ شـــأنه أنْ يكون مهمًّا في حياتك، ففيها معنى العبور، فيها معنى السفر، فيها معنى العناية؛ لأنّ الموضوع مهم، وليس على هامش الحياة، وإنّما هو في صلبها.

{إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ---} [سورة المزمل: 19]

أي تأتي بهذه المعاني، وبهذا المبدأ، وبهذه المواصـــفات، ويمكن أنْ تكونوا متذكّرين لما يجب عليكم تذكّره، ويمكن بعد ذلك أنْ تكونوا مجتازين لما يقف أمامكم من مصاعب ومتاعب ومشاكل.

فإذا استذكر الإنسان هذه الأشياء الصميمية الضرورية الأساسية فماذا ينتظر؟

ليس عليه إلّا أنْ يسلك الطريق، لكن هذا السلوك ليس بوصف الإجبار؛ لأنّه لا إكراه في الدين، وإنّما بوصف المشيئة:-

{--- فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} [سورة المزمل: 19]

إذنْ أيّها العبد! الله عزّ وجلّ ذكّرك ونوّرك وأعطاك فطرة سليمة، وعقلًا سليمًا، وقوّى الفطرة، وقوّى العقل السليم بالوحي إلى رسوله الأمين سيّدنا المصطفى صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الصدق والوفا، ثمّ جعل لك وزنًا، وجعل لك شـــخصـــية، وجعل لكَ مرتبة، وجعل لك مقامًا أنت فيه مُقوَّم كما قال عزَّ وجلّ:-

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [سورة التين: 4]

فأنت الآن في مرتبة أحســـن تقويم، فلا نريد أنْ ننزلك إلى مرتبة مَنْ يُجبَرُ ويُكرَه؛ لأنّ الإكراه والإجبار ينافي التكريم، وينافي التقويم، وخير أنيس في العلوم مثال، وأكثركم آباء، الله تعالى يحفظكم، فلو أنّ فضـــيلة الشـــيخ عبد الله حفظه الله سبحانه مثلًا جاء ابنه وقال له: يا أبتي أريد أنْ أَعِيْنَك، أعطني مفاتيح

المسجد، أفتحه وقت الأذان، وأُؤذِّن، وأنت على راحتك تأتي للمسجد، يا أبي أنا بلغتُ السعي معك، وأريد أنْ أقف معك - وأسأل الله سبحانه - أنْ يجعل كلّ أبنائنا هكذا، أنْ يقفوا معنا حين يبلغوا السعي بوصفٍ يُرضي الله جلّ وعلا، فأيّ الجوابين لهذا الولد -حفظه الله تعالى- أرقى وأجلّ وأعظم؟ أنْ يقول له فضيلة الشيخ: ونِعْمَ الرأي، والله يا حبيبي تعال أقبّلك من جبينك وأضمّك إلى صدري، وأنت لها والنِّعم، هذه المفاتيح يا حبيبي، أنا ربّيتك لهذا اليوم، لهذا الخبر أنْ أسمعه من فمك، ومن هذا الإقرار منك، أنت رجل، أنت داعٍ إلى الله عزّ شأنه، أنت من بيت علم، هذا الجواب الأول.

الجواب الثاني: لا قدّر الله تعالى، فضيلة الشيخ يقول له: اجلس، من أين أتيت بهذا الأمر؟ أنت تقدر تذهب وتفتح الباب وربما تؤذّن قبل الوقت؟ أو تبقى تلعب ويفوت الوقت؟ فأيّ الجوابين أكرم بهذا الإنسان؟ بهذا المخلوق؟ على التأكيد كلنا سنقول الجواب الأول.

ولله المثل الأعلى، فالله عزّ وجلّ لا يُجبر الإنسان؛ لأنّ الإنسان مكرّم عند الله سبحانه؛ لأنّ الجبر نقصان، الجبر معناه أحد مكسور تجبره، فإذن هو ناقص؛ وإنّما أنت تتركه هو يختار وينطلق؛ فهو سيّد، هو يختار ما يريد كما قال جلّ وعلا:-

{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ---} [سورة الكهف: 29]

وقال:-

{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} [سورة الإسراء: 19].

إذنْ العبد يريد، وله إرادة، وله مشيئة، وله حسن اختيار بين البدائل، بين افعل ولا تفعل؛ فلذلك تعلّق به خطاب الشارع عزّ شأنه، ولم يتعلّق بغيره.

إذن:-

{إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ} [سورة المزمل: 19]

ما نفهمه من الآيات السابقة التي هي جزئيات تدخل تحت الكلّيات الخمس التي وصفتُها

{إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ}

لا نجبركم عليها؛ لأنّه لا إكراه في الدين، فلا ينسجم الإكراه مع مقام التكريم، ولا يأتي الإكراه بخير أبدًا، وقِسْ بين مثالين:-

الأوّل: أنَّ إنسان أحبّ حديقة بيته، يخرج في كلّ يوم ينظفها، وفي وقت الموسم يحرثها، ويزرع فيها ممّا يعجبه من الورود والزهور، عن محبّة وشوق، يقولون له: ستكفلك أكثر ممّا تنتج، فيقول لهم: يعجبني أنظر إليها، وأتعامل معها، فقط؟ وأشم رائحة الزهور والنباتات التي فيها، ولو اشتريت ما تنتج هذه الحديقة من السوق ربّما يكون أنسب لكن أنا أحبّ أنْ أتفاعل معها، وأتعامل معها.

والثاني: أنّ والدك يجبرك أنْ تحمل أدوات الزراعة وتذهب للعمل في البستان، أين هذا من هذا، هناك فرق كبير بين الصورتين، ولا تكرهوا أحدًا على شيء، إلّا اللهمّ إنْ كان لا يعرف مصلحته نهائيًا، لكن حتى هذا لا تكرهه إكراهًا قبيحًا؛ لأنّ الله عزَّ وجلّ أمرنا بالهجر فقال تبارك اسمه:-

{وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [سورة المزمل: 10]

فلا تجبره على العمل بشيء بشكل قبيح.

وأجمل ما قرأت مرّة عندما كان عمري اثنا عشر سنة أو ثلاثة عشر، كنّا نقرأ في حاشـــية في بيت الوالد -رحمة الله تعالى عليه- حديث النبيّ عليه الصـــلاة والسلام وآله وصحبه الكرام:-

(مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّـلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَـبْعِ سِـنِينَ، وَاضْـرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) الإمام أبو داود رحمه الودود جلَّ جلاله.

فقال والدي -رحمة الله جلّ وعلا عليه:- تعال لنطبق الحديث، فأنت لم تصـــلِّ اليوم أليس كذلك؟ قلت بلى، قال: إذن قُمْ فصـلِّ، وبدأ يطبطب على كتفي بلطف وهو يضحك، ثمّ قبّلني.

إذنْ: هو طبّق الحديث أم لا؟ طبّق الحديث الشريف، وضربني عليها، ولكن أين هذا من هذا؟

لنتعلّم يا أحبابي من السادة المرشدين، ولا أقول أنّ والدي كان مرشدًا رحمة الله سـبحانه عليه، ما أعرف هذا الشـيء؛ لأنّه في ذاك الوقت هذه الصـور كانت مشـاعة، والنّاس تتعامل معها بسـلاسـة، فينظرون إلى العالِمِ نظرة الإكبار والإجلال، وكان العلماء متميزين وقلّة، ففي مدينة السعدية كلّها لا أذكر في ذلك الوقت سـوى عمّي رحمه الله تعالى، ووالدي، لا أقول هذا تعصّـبًا نعوذ بالله تبارك وتعالى، وعالمًا آخر كان من الشمال أيضًا وهو كردي، اسمه الشيخ عبد الرحيم -رحمة الله تعالى عليه-، فهذه مدينة السـعدية كلّها هي وقرآها وأريافها، فيها هؤلاء فقط، جامعان فقط، يقوم بهما هؤلاء الثلاثة.

المربّي يطبّق الحديث، كيف يطبّق الحديث؟ نحن بلا ضرب -ما شاء الله تعالى- كسّرنا ظهور العالَم، فكيف إذا جاء نص (وَاضْرِبُوْهُمْ) فمَنْ سيخلص العالَم منّا؟! يا ستار، لماذا؟ لأنّنا ابتعدنا عن هدي المرشدين رضي الله تعالى عنهم، وابتعدنا عن هدي العلماء الربانيين، فكأنّ معناه أنْ تُطَبْطِبْ على الظهر، وربما أنت سمعت حديث النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم: (وَاضْرِبُوْهُمْ) ولا تشعر أنّ هذه إهانة، وإنّما الضرب هنا نوع من القوة، (وَاضْرِبُوْهُمْ) أيْ قوّوْهم بهذا الضرب؛ لأنّ الضرب يأتي لمعانٍ كثيرة في اللغة، وإذا أردنا أنْ نكون مجتهدين وفقهاء فنحن بحاجة أنْ نتعلّم لغة القرآن الكريم، فليس (وَاضْرِبُوْهُمْ) معناها أنْ تضرب الإنسان بقوّة، وتسلّط هذه القوّة، وتسمّى قوّة الضرب، وإنّما الضرب معناه متعدد في اللغة في جوانب كثيرة في الحياة، يقولون: هذا ضرب من الخيال، فما هو الخيال؟ هل له واقع؟ فضرب من الخيال تعني قسم من الخيال، يمكنك أنْ تفهمها هكذا.

والخلاصة (أنّ الإنسان بالإكراه لا يثمر).

وكما تعرفون كنت أخدم في مدرسة الشيخ معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه، ويعرف الطلبة الذين جاءوا إلى المدرسة أنّي لا أجبر أحدًا من الطلاب، حتى على الصلاة، والله كان يأتي المصلّون ويتعثرون بالطالب وهو نائم في الحرم وقتَ الصلاة، إلى درجة أنَّ الكثير من المشايخ الذين كانوا يديرون مدارس أخرى انتقدوني، وشكوني عند الأوقاف في الاجتماع أمامي، قالوا للمدير العام: هذا لا يصلح، لأنّه يعطي مجالًا للطلّاب، فقلت لهم:-

والله أنا عندي وجهة نظر:-

أولًا:- لا أؤمن بالإكراه، فأريد الطالب يتعلّم من ذاته وينهض للصلاة.

ثانيًا:- لا أريد أنْ أضـــربه أو أهينه أو أضـــيّق عليه بالجامع، حتّى لا يكره الجامع، والدِّين جاء يربّينا على أنْ تكون قلوبنا معلّقة بالمساجد، ليس نافرة من المساجد، فأنا أبتعد عن أيّ تصرّف يؤدّي إلى نفور الولد من الجامع فأراه خطأ وليس صوابًا.

وانظر في بدايات ما أنزل الله جلّ في علاه، حيث جعل هذا المَعْلَم من معالم الدّين.

إذن: هذه ستذهب للنقطة الثانية بعد النقطة الأولى، في النقطة الأولى أنّ الإنسان -ومنهم الداعي- له مشـــيئة، وله اختيار، وفي النقطة الثانية أنّ هذا الدِّين من معالمه أنّه لا إكراه فيه، يُثبِتُ المشيئة على أنّها شيء شرعي، وعليها نصوص كثيرة، وكذلك الإرادة، فالإنسان سيّد في هذا الكون، سخَّرَ اللهُ عزّ وجلّ له ما في الســـماوات وما في الأرض، فماذا تريد بعد؟ فالله جلّ وعلا لأجلك أنزل الكتب، لأجلك أرسل الرسل عليهم الصلاة والتسليم، فأنت سيّد في هذا الكون، فلا تخرم هذه السيادة، حاول أنْ تبقى في مرتبتها، أنْ تتألق في آفاقها ومداراتها كما في هدايات الآية الكريمة:-

{إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} [سورة المزمل: 19]

عرفنا أنّ لدى الإنسان مشيئة، فماذا يفعل {فَمَنْ شَاءَ} مَنْ هو الفاعل؟ الفاعل هذا الذي شاء.

{فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}

الفاعل معروف، لم يأتِ الفعل مبنيًّا للمجهول، حتّى لا يأتي مَنْ يقول: لا أدري من هذا الفاعل الذي أجبرني على اتخاذ هذا الطريق، فلا أحد يجبرك على اتخاذ هذا الطريق؟ أنتَ الفاعل، فلستَ سيّدًا ومكرّمًا إنْ لم تكن فاعلاً.

{اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}

إذنْ: النهاية إلى الله جل في علاه.

إذنْ المقصود مَنْ؟ الله جلّ جلاله.

المطلوب مَنْ؟ الله جلّ وعلا، (اللهمّ أنتَ مطلوبي ورضاك مقصودي).

بعد ذلك في الفطرة أنَّ كلّ سبيل يحتاج إلى دليل، يحتاج إلى إشارات، يحتاج إلى بدايات، وإلّا ضلّ الإنسان الطريق، أو تأخّر فيه؛ لأنّه لا يعرف مداخله ومخارجه، لا يعرف المطبّات الموجودة، التحويلات الموجودة في الطريق؛ فيحتاج إلى الدليل، والدليل لا يخفى، هو سيّدنا رسول الله عليه صلوات ربي وسلامه وآله وصحبه أجمعين، حينما كان في دار التكليف، ولمّا انتقل إلى دار التشريف أوكل الأمر إلى ورثته عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه الميامين، بل الله عزّ وجلّ لأنّه:-

{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ---} [سورة النساء: 80]

فالرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه العدول، لا ينطق عن الهوى، ويأبى الله عزّ وجلّ أنْ يكلّف عباده في دار التشريف، وإنْ قال قائل: نرى تصرّفات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وآله وصحبه الأتقياء، وتصرّفات للأولياء بعد انتقالهم إلى رب العالمين! نقول: نعم، لا أنفي ذلك، ولا أنفي هذه التصرّفات، ولكن هي من باب الجود والكرم والفضل، وليست من باب أداء

الواجب، فقد انتهى التكليف بتسليم الروح إلى بارئها، سواء كانت الروح أرواحَ الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم، أو كانت أرواح المرشدين والعلماء الربّانيين، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، لا يوجد تكليف بعد نزع الروح إلى دار التشريف، ويأبى الله عزّ وجلّ ذلك في دار التشريف، فهذا لا يتناسب مع كرم الله سبحانه، ولا يتناسب مع عدل الله جلّ وعلا أنّه في دار التشريف يكلّف عبادة، حتّى نحن نستحيي من ذلك، فأنت إنْ جاءك ضيف فهل من التكريم للضيف أن تكلّفه، هذا أمر ثقيل جدًا، (لا يُلبس عليها عِقال) كما تقول العرب، فالدار الآخرة هي دار الضيافة بالنسبة للأنبياء عليهم الصلاة والتسليم، والأولياء؛ ألا يكفي ما ذاقوا وما تحمّلوا؟!

(سُئِلَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً، قَالَ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فالأَمْثَلُ) الإمام أحمد رحمه الفرد الصمد عزّ شأنه.

ألا يكفي هذا كلّه؟ وبعدها يذهب إلى الجنّة عند رب العالمين، ثمّ يقول له: اذهب ربّي فلانًا، وربّي فلانًا، واحمل كُدُرَاتٍ نفسانية منه، واحمهم من نزغات شيطانية.

إذنْ: السبيل هنا في الدنيا، لابُدّ أنْ يكون الدليل من أهل الدنيا، له مواصفات الحياة الدنيوية، والله عزّ وجلّ قرّر أنْ لا يعودوا إليها بعد خروجهم قال عزّ شأنه:-

{--- كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُون} [سورة المؤمنون: 100]

فالإنســـان لا يعود إلى الدنيا بعد خروجه منها بالمواصـــفات الدنيوية، لا يعود إليها بمواصفات الحياة الدنيوية، ولكن قد يعود إليها بمواصفات أخرى، نحن لا ننفي أنْ يعود بمواصـــفات أخرى، ولكن أنْ يعود إليها بمواصـــفات دنيوية وتكليف وتشـريع وقيام بواجبات إنْ لم يقم بها يعاقب، أو على الأقل يعاتب، لا، فقد انتهى هذا.

إذنْ: أحبتي الكرام وسادتي المشايخ، فتح الله لكم وبكم، إلى هنا هذه فاصلة في الســـورة؛ لأنّ هذه الآيات نزلتْ ثمّ نزل الجزء الأخير (الآية الأخيرة) يقال بعد سنة، فماذا فهمنا ممّا سبق؟ فهمنا أشياء كثيرة، ولكن أهمّ شيء هو أنّ المرحلة الثانية فيها تركيز على تقوية الصلة بالله تبارك اسمه، وتقوية الصلة بالله عزّ وجلّ عن طريق تقوية الرّوحانية، وأنّ من أعظم ما يقوّي الروحانية للعبد الحضور مع الله جلّ جلاله، وتركيز الحضور مع الله سبحانه، يتجسّد بقيام الليل، ويتجسّد بترتيل القرآن الكريم، أي بالإكثار من ذكر رب العالمين سبحانه وتعالى؛ لأنّ القرآن الكريم جزئية من كليّة الذكر، فإذا قرأت القرآن الكريم فأنت ذاكر لله رب العالمين، ولكنّه ليس كلّ الذكر، القرآن جزء من الذكر، أمّا الذكر المطلق فأنت إذا كنت جالسًا تقول (الله، الله) سواء بلسانك مع حضور قلبك، أو على الأقل مستشعر أنّك تذكر ربّك، فأنت ذاكر، ولكنّك لا تقرأ قرآنًا، أو تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فأنت ذاكر، وهكذا.

إذنْ: هذه الروحانية مَعْلَم عظيم من معالم تكوين شـــخصـــية الداعي، وهذه المرحلة امتازت بزيادة الروحانية بمجاهدة العبد لنفســـه، وربّما من أشـــدّ المجاهدات قيام الليل.

إذنْ: فإعداد الداعي -ولذلك جعلتُ سورة المزمل بعد سورة اقرأ أو بعد صدر- سورة اقرأ- وقلنا: إنّنا لا نرتب لأجل أنْ نعارض نعوذ بالله تبارك وتعالى روايات أخرى جاءت، لا، فهذا ليس عملنا، ليس من عملنا هنا أنْ نقول للناس إنّ هذه السورة نزلت بعد هذه السورة، لا ليس هذا، وإنّما أقول والله تبارك وتعالى أعلم: إنّ المنهاج الذي يُعَدّ به الداعي يبتدئ أوّلًا بمقدمة سورة اقرأ، ثمّ التفاعل مع سورة المزمّل هذه في المرحلة الثانية.

إذنْ: في المرحلة الثانية ينبغي على العبد أنْ يؤكّد على تقوية الصلة بالله تبارك اسمه بهذه الوسائل، القراءة، والقلم، لأنّه بها يتنوّر عقلك، وتزداد ثقافتك، وتتعمق نظرتك إلى الكون، فلماذا كثير من الناس مع الأسف يمرّون على هذه الآيات العظيمة في الكون ولا يفهمون منها شيئًا، ولا يفقهون منها شيئًا، وأعجبني خبر يقول: إنّ هذا الفيروس الذي أوقف الدنيا كلّها، شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، وزنه كأنّه صفر، وحتى يُمْرِضَ الإنسان يحتاج إلى سبعين مليار فيروس منه، فتخيّل مريض واحد يحتاج سبعين مليارا، فكم مريض يوجد على الكرة الأرضية من هذا الفيروس حتى الآن؟ قبل أسبوع تقريبًا وصل عدد المرضى إلى ثلاثة ملايين إنسان، فاضربه في سبعين مليار فيروس، فكم يصبح؟ وكلّ هذه المليارات لو وضعتهم في ميزان دقيق جدًّا لا تساوي غرامًا واحدًا! لا إله إلا الله! أتتفكرون بالموضوع؟ مليارات إذا وضعتها بالميزان لا تساوي غرامًا واحدًا، والكيلو كم غرامًا؟ ألف غرام، فما هذه القدرة الرّبانية سبحانه وتعالى؟

إذنْ بالقراءة وبالعلم تزداد خشية لله عزّ وجلّ، تزداد معرفة بالله تبارك وتعالى، ومَنْ لم يعرف الله جلّ وعلا لا يعبد الله سبحانه لذلك نحن نوجّه ونقول:-

الذي عبادته خفيفة ليرجع فيقيسَ معرفته بالله جلّ في علاه ليرى معرفته بالله، ماذا تعرف عن الله عزّ وجلّ؟

إذنْ: هذا مَعلم أساسيّ في هذه المرحلة، إلى الآية التاسعة عشر من سورة المزمّل، وهو التأكيد على تقوية الصلة بالله تبارك وتعالى، والأخذ بأسبابها النظرية والتطبيقية، فستقوي صلتك بالله سبحانه؛ لماذا تقوّي صِلتك بالله؟ حتّى تكون ناجيًا عند الله، تصل إلى الله، تتخذ سبيلا إلى الله جلّ جلاله، ومَنْ كان كذلك فإنّه يضفي جمالًا على الكون، كيف لا يضفي جمالًا على الكون؟ هو هجره الهجر الجميل! والصبر! يقولون الصبر مرّ، وهو مرّ فعلًا؛ لأنّه حبسٌ، حبس للنفس على ما تكره، فإذا كان صبره جميلًا كما وصفه الرب تبارك وتعالى:-

{فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا} [سورة المعارج: 5]

فكيف لا تكون الحياة جمالًا وبهاءً وذوقًا وروعة ورِقّة؟ وكيف تريد أنْ تصِفها صِفْها، ولولا أنّ الله عزّ وجلّ أرادها دنيوية، وأرادها هكذا لا وزن لها لأمكن الإنسان بتطبيق الإسلام أنْ يعلو بهذه الحياة إلى ما يقرب من حياة أهل الجنّة، فصدورهم نُزعت منها الغلّ، وهم أحباب، وهم إخوان، وهم متحابّون بجلال الله تبارك وتعالى، متعاونون بجمال الله عزّ وجلّ، يأخذ بعضهم بيد بعض برفق وحنان وصدق وتعاون، بل تفانٍ وقد جاء وصفهم في القرآن الكريم في قول الله جلَّ جلاله وعمَّ نواله:-

{--- يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

[سورة الحشر: 9]

فكيف تكون الجنّة إذن؟ فبتقوية الصلة بالله تبارك اسمه وسلوك الطريق الذي يوصلك إلى الله سبحانه إلى مرضات الله عزّ وجلّ ترقى الحياة جمالًا وكمالًا بحيث تدنو من آفاق حياة أهل الجنّة، هذه المرحلة الثانية، ومن معالمها هذا المَعْلَم العظيم، وهو تقوية الصّلة بالله جلّ في علاه؛ فستأتيك أوامر بعد ذلك تحتاج إلى هذه القوة في تنفيذها، في نشرها، والدعوة إليها، فتقوية الصلة في هذه المرحلة تجسّدت بتفاعل سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، قدوتنا، فقام من الليل حتّى تورّمت أقدامه الشريفة صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم.

أجاء الأمر للنبيّ عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين فقط أم للأمّة؟

لا أدخل في آراء أهل العلم رضي الله تعالى عنهم وعنكم في هذا المجال، فهذا ليس عملي، ولكن ينبغي على الداعي وعلى مَنْ يريد أنْ يكون داعيًا أنْ يقتدي بالنبيّ صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، فلذلك ستجدون في الآية الأخيرة التي سوف نتشرف بها الآن أنّ الله تعالى شهِد لطائفة قامت بالأمر خير قيام مع خير الأنام عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، فنالت هذا التكريم، إذنْ قيامك مع العظيم، سيّدنا رسول الله عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه الميامين، صاحب الخلق العظيم، سبب التكريم، كيف لا يكون تكريمًا

والله سبحانه نزّل في القرآن الكريم شهادة لهم نقرأها؟ كم مليار إنسان سيقرأ هذه الآية؟ منذ أنْ نزلت إلى قيام الساعة في قوله جلّ جلاله:-

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ---} [سورة المزمل: 19]

كم إنسان سيقرؤها؟ هل هناك تكريم أكثر من هذا التكريم؟ هل هناك تبجيل أكثر من هذا التبجيل؟ وليس شأننا أكان فرضًا أم سنّةً، فنحن نريد أنْ نفهم ما المطلوب من الداعي إلى الله عزّ شأنه، ما المطلوب منّا إذا أردنا أنْ نُعِدَّ دعاة، وقد قلت قبل مجالس: إنْ قال قائل إنّه كبر لم يعد قادرًا على الرجوع، وهو مكتفٍ والحمد لله بالذي عنده، أنعم وأكرم، هذا نعمة من الله عزّ وجلّ إذا استقمنا على ما عندنا، فهذه أيضًا نعمة من الله سبحانه تستوجب منّا شكرًا، لكن اذهب إلى ابنك، إلى ابنتك، إلى مصلّيك الذين عندهم تواصل بالجامع، اذهب إلى أصدقائك وجيرانك، علّمهم كيف يُعدّون أنفسهم دعاة إلى الله جلّ وعلا.

وانظر هنا أيضًا الآية فيها تأكيد، الجملة جملة إسمية، وفيها نسبة للربّ، كلمة الرّب سبحانه وتعالى:

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ}

لم يقل إنّ الله يعلم، أو إنّ الكريم يعلم، قال: إنّ ربك، من التربية والعناية، فيها تشريف، حينما ينسبه إليه، إلى ذاته العلية {إِنَّ رَبَّكَ} ينسب سيّدنا الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه الثقات العدول إلى ذاته الشريفة، إنّ ربّك، إنّ مربّيك، إنّ المعتني بك، إنّ مُحبّك؛ لأنّه من الطبيعيّ أنكّ لا تربي أحدًا

ولا تعتني به إذا لم تحبه، إلى آخره من المعاني، أطلق العنان لعقلك لتفهم شـيئًا من معاني كلمة ربّك في قول الله تبارك وتعالى:-

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ}

فكم سـيتألق العبد، وكم يترقى حينما يأخذ هذا الخبر؟ فقيامه في الليل ومجاهدته لنفسه ليست خافية على الله جلّ جلاله، لا يخفى على الله عزّ وجلّ شيء، بل هو محسوب لك.

إذنْ: من معالم الدّين أنّه علّم العبد ما يتعلق بعقيدته، وأنْ يتعلّم بأنَّ الله تبارك وتعالى، يرى:-

{أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ} [سورة العلق: 14]

وأنْ يعلم أنَّ الله عزّ وجلّ لا تخفى عليه خافية، وأنّه حينما يتعامل مع ربّه سبحانه لن يخسر شيئًا، ولا يخسر؛ لأنّ علم الله جلّ وعلا ليس لأجل أنْ يعلم، وإنّما المعنى يعلم، فيكرم، فيحفظ لك عملك، فيجزيك عليه أضعافًا مضاعفة، - ولله المثل الأعلى- كثير من الآباء، من المسـؤولين كما قال: الحبيب المحبوب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أتقياء القلوب.

(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

ويعرفون كثيرًا من المآسي التي نزلت بالخلق، وهم يستطيعون رفعها، أو على الأقل يستطيعون تخفيفها ولكن لا يلقون لها بالًا، فما فائدة هذا العلم.

فهنا لمّا أتى بـــــ (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ) (رَبَّكَ) حتّى يبيّن أنه يا حبيبي يا رسـول الله صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، يا أيتها الطائفة المؤمنة التي تشرّفت

بالمعيّة مع سيدنا الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه الثقات العدول، عملكم محفوظ، عملكم عند من لا يضل ولا ينسى، كما قال عزَّ شأنه:-

{قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} [سورة طه: 52]

وسيثيبكم على هذا العمل أجرًا عظيمًا، وسيؤتيكم ثمرات هذا العمل وهذه المجاهدة في الدنيا قبل الآخرة.

إذنْ: هنا مَعْلَمَ من معالم الدِّيْن أنّ في عقيدة هذا الدِّيْن الذي شرّفنا الله عزّ وجلّ به أنّنا نعلم أنّ الله عزّ شأنه لا تخفى عليه خافية سواء لأجل العلم وإحصاء ما نعمل، أو لأجل تكريم العاملين على ما يعملون من خير، أو لعقوبة مَنْ يعملون الشرّ، أو الرضا عنهم وإطلاق سراحهم والغفران لهم، ونسأل الله عزّ وجلّ أنْ يعفو عنّا جميعًا.

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ---} [سورة المزمل: 19]

ما قال (تصلّي) قال (تقوم) حتّى يعطيك مجالًا بأنّ معنى القيام لا ينحصر في الصلاة فقط، وأروي عن سيّدي وقرّة عيني وأخي في الإرشاد سيّدي حضرة الشيخ طارق السامرائي طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، من فمه الشريف إلى أذني، قال: أنا أحيانا واللهِ أقعد بالليل ولكن لا أصلّي تهجّدًا، قلت: لماذا؟ قال: أنبهر بجمال الله، أبقى جالسًا أشاهد جمال ربّ العالمين سبحانه وتعالى، لا يبقى عندي قوّة أنهض وأصلّي التهجّد، وقصارى ما أفعله هو أنّي أقوم أصلّي ركعتين، ولا يأتينا أحد يقول: انظر! هؤلاء يقعدون ولا يصلّون، عاجزون عن الصلاة! فليس هذا يا بني، ليس هذا الموضوع، الموضوع محبّة.

{الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [سورة الشعراء: 218 - 219]

وهل الساجد هو الذي يضع جبهته على الأرض فقط؟ فيكف بمَنْ وضع جبهته على الأرض ولكن فكره -نعوذ بالله تبارك وتعالى- عند ملذّاته ودرهمه ودينارِه؟

وسبق لي أنّي ذكرتُ معاني السجود.

{الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} [سورة الشعراء: 219]

ما قال: تصلّي، قال: تقوم، حتى يُعتبر كلّ نهوض مع انتباهة إلى الله سبحانه هو قيام، هو مجاهدة، نهوض مع حضور، تتوضأ تقوم وتجلس وتفكر في خلق السموات والأرض، فأنت الآن قائم كما لو وقفت على سجادتك وصلّيت ركعتين لربك جلّ وعلا، هكذا ينبغي أنْ يفهم.

إذنْ: من مواصفات الداعي أنْ يكون له قيام في الليل، لماذا؟ لأنّ هذا نوع من المجاهدة للنفس والجسد، ما في النفس من حبّ الراحة والاسترواح تدعوك لأجل أنْ تنام في فراشك، ولكن أنت نهضت، واذهبوا واقرؤوا حديث:-

(مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ) الإمام البخاري رحمه الله جلّ جلاله.

يعني قعد من نومه، حتّى لو لم يصلّ، هناك ذكر مخصوص حتى لو لم يصلّ فالله سبحانه يستجيب، لأنّه قائم، إذنْ ذكر الله هو نهوض مع حضور، ومن معانيه أنْ تقوم للودود الغفور جلَّ جلاله وعمّ نواله.

{--- وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ---} [سورة المزمل: 20]

ليس الكلّ، وإنّما طائفة، المعنى الظاهر أنّه هناك مجموعة صـــلّوا مع ســـيّدنا رسول الله صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، أو قاموا في الليل مع سيّدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه ومَنْ والاه، ويمكن أنْ تدخل فيها صور جزئية كثيرة، مثلا أمّنا السيّدة خديجة رضي الله تعالى عنها، أو سيّدنا عليّ رضي الله تعالى عنه مع النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، ســيّدنا أبو بكر رضـــي الله تعالى عنه باعتباره أوّل الرجال إيمانًا قام مع النبيّ صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه المكرمين، وربّما الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، في دار الأرقم رضي الله تعالى عنه وعنكم، قام من الليل، وهؤلاء الجماعة قاموا معه الليل، هذا المعنى الظاهر، ولكن عندي ليس هذه الصورة فقط، وإنّما المعيّة تتحقّق بمعيّة الجسد، وتتحقق بمعيّة الروح أيضًـــا، فكم من عبد من عباد الله تبارك وتعالى وهو في أدنى الأرض لكن كان يقوم مع الحبيب صـــلى الله تعالى وســـلّم عليه وآله وصـــحبه أهل الطيب، لأنّه يشاهده في عالم الروح عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، لأنه يعيش معه، لأنّه عاشق دَنِفٌ مُلهم مُحبّ مدنف القلب لحبيب الحق سبحانه، صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم فهو معه، وقد روي عن أحد الصالحين رضي الله تعالى عنه وعنكم أجمعين أنّه ذُكر في مجلســه الشــريف أنّ أناسًــا يذهبون يزورون النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، وكأنّهم يعرّضون به لماذا لا تذهب؟ والرجل عفيف لا يحبّ أنْ يقول: فلان تاجر اعطِنِي أذهب للعمرة، أو أذهب إلى شركة عمرة يجعلوني مرشدًا، أذهب معهم عمرة، عفيفٌ

ولكنّ الله عزّ وجلّ يعلم صدقه، فرفع مكانته ومنزلته، فأنطقه سبحانه لا للرياء والسمعة -نعوذ بالله تبارك وتعالى- وإنّما لأجل التعليم والإرشاد، كأنّه يقول لهم أجمِلوا في الطلب أيّها الناس، فقال: واللهِ الحمد لله والشكر إنّه أمامي، أنا أزوره ليلّ نهار صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه الميامين، سبحان الله تعالى؛ فأشربتْ قلوبهم بحبّه صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، فسرى بعض سرّه في عروقهم ودمائهم، فكانوا شاهدين له ومعه.

{--- وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ---}

لا يعني أنّ هؤلاء كلهم بمعيّة جسدية مع خير البرية صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم وإنّما كان يصلّي في بيته في أقصى محلّة في مكة المكرمة، وسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه في بيت هو أدنى من جبل الصفا، بيت سيّدنا الأرقم رضي الله تعالى عنه لكنّه مجتمع معه، هو معه في عالم الروح.

{وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}

بعدما ذكر بعض المقادير أوكل العِلم الدقيق لمعرفة الوقت على التحقيق بعلمه هو سبحانه وتعالى، ومن آثار هذا أنّكم لا تقدرون أنْ تحصوا كم تقومون من الليل، ولم تكن عندهم ساعات إلكترونية مثل هذه النعم علينا، الله أنعم علينا سبحانه، يعني نِعم الله عزّ وجلّ علينا لا تعُدُّ ولا تحصى، بوقتهم خاطبهم الله جلّ وعلا قال:-

{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [سورة النحل: 18]

فكيف بنا لآن!؟ وأحدهم حتّى يعرف الفجر طلع أم لم يطلع يحتاج إلى أنْ يجتهد ويخرج بالبرد القارص، والحرّ الشـــديد حتّى يعرف الوقت، فلمّا كانوا في هذا القلق كم قاموا من الليل اضطربت قلوبهم مخافة أنْ يقصّروا في استجابة دعوة ربّهم جلّ جلاله، فالله عزّ وجلّ بيّن لنا مَعْلَمًا آخرَ من معالم هذا الدِّين، وهو مَعْلَم رفع الحرج والتخفيف

{عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ}

فنحن لم نحصه، إذنْ نحن مقصّرين؟ قال: لا، فقد قال:-

{فَتَابَ عَلَيْكُمْ}

قبْل أنْ تقولوا: نحن مذنبون تفضلوا هذه التوبة، هذه شهادة التوبة، يا سلام، فكم يحبّهم ربّ العالمين؟! رضي الله تعالى عنهم وعنكم، وكم سيحبّ ربّ العالمين مَنْ يتشبّه بهم ويقتدي بهم؟!

{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}

أفهم منها المعنى الذي ذكرته لكلمة تقوم: لم يقل فصلّوا ما تيسّر من الركعات، حتّى يعطي مســاحة أوســع للمعنى، لأنّ المقام مقام حبّ، مقام روحانية، ليس مقام مادّة: دينار واحد، اثنين، ثلاثة، لا، وإنّما هو مقام فضــفاض، كلٌّ حســب حاله، كلٌّ حسب مقداره، فإنْ جاء أحدٌ ما يعتب مثلًا على حضرة الشيخ طارق رحمه الله تعالى ويقول له: لماذا في بعض الليالي ما كنت تصلّي التهجّد، وكنت قاعدًا؟ لا، بل هو قاعد يذكر الله عزّ وجلّ، قاعد يقرأ القرآن الكريم، يمكن أنْ نقول: ما تيسّر من الركعات من ركعات الصلاة، وسمّيت الصلاة قرآنًا لأنّ القراءة ركنٌ فيها، من باب إطلاق الركن الأعظم الذي هو جزء من الشــعيرة

على الشعيرة كلّها، كما قال مثلا سيّدنا الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه الثقات العدول:-

(الحَجُّ عَرَفَةُ) الإمام الترمذي رحمه الله عزّ شأنه.

فالحج ليس عرفة فقط، فيجب أنْ تطوف، وتسعى، فقد أطلق الركن الأعظم من الحج على الشعيرة كلّها، وكذا هنا فجعلها في مدى أوسع وأرحم وأيسر، وهذا من معاني:-

{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [سورة البقرة: 185]

وقول الحبيب المحبوب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أتقياء القلوب:-

(يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولا تُنَفِّرُوا) الإمام البخاري رحمه الباري جلّ جلاله.

فاقرؤوا ما تيسّر من القرآن.

نتوقف هنا -إنْ شاء الله تعالى-؛ أسأل الله تبارك اسمه أنْ يبارك بجهودكم، فتح الله لكم، استودعكم الله العظيم الذي لا تضيع ودائعه والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.